الأساليب النبوية في علاج ظاهرة الخوف من الإسلام وتطبيقاتها المعاصرة

د. محمد سيد أحمد شحاته*

* أستاذ الحديث وعلومه المشارك بجامعتي الأزهر والمجمعة.

ملخص البحث

هدف البحث إلى بيان أسباب الخوف من الإسلام، وبيان آثار الخوف من الإسلام على الواقع المعاصر، وبيان المنهج النبوي في مواجهة ظاهرة الخوف من الإسلام، ومحاولة السير على منهجه صلى الله عليه وسلم في مواجهة هذه الظاهرة، وإبراز مدى القدرة على تطبيق المنهج النبوي مع أهل هذا العصر، وكانت أهم الأسئلة: ما أسباب الخوف من الإسلام؟، وما آثار الخوف من الإسلام؟، وما منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في علاج ظاهرة الخوف من الإسلام؟، وتمثلت أهمية البحث في أن مصطلح الإسلاموفوبيا ظهر في الفترة الأخيرة، لكنه كان موجوداً مع وجود الإسلام، وهو مرض أصيب به القدامى، واشتد مع الغرب في هذه الأونة الأخيرة، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، ولم يقف عند حدوده الكلام بل تجاوزه إلى الأفعال فقد عبر عن نفسه تعبيرًا واضحًا، ورأينا مدى الإساءة للإسلام والمسلمين، في البلاد التي توجد بها أقليات مسلمة، وصلت إلى حد القتل والتهجير، لذا كان لا بد من دراسة هذه الظاهرة، وبيان أسباب الخوف من الإسلام، وآثاره على الواقع المعاصر، ثم بيان المنهج النبوي في مواجهة ظاهرة الخوف من الإسلام، من أجل محاولة السير على منهجه صلى الله عليه وسلم في مواجهة هذه الظاهرة، واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وتدعيم ذلك بالأدلة والبراهين من الكتاب والسنه، ويتناول هذا البحث أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع ظاهرة الخوف من الإسلام، حيث يستخرج الباحث الأحاديث والمواقف من كتب الحديث، والسيرة، ويستنبط من تلك الأحاديث والمواقف أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت خطة البحث: المقدمة: أهمية الموضوع وعناصره. المبحث الأول: أسباب الخوف من الإسلام . المبحث الثاني: آثار الخوف من الإسلام بين الماضي والحاضرالمبحث الثالث: الأساليب النبوية في علاج ظاهرة الخوف من الإسلام. المبحث الرابع: مدى إمكانية تطبيق هذه الأساليب على الواقع المعاصر. الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات. ومن أهم النتائج. أن الإسلام منذ بزوغ شمسه وهو يعامل الأمم بالحسنى، ولم يرهب أحداً أبداً، وأن سبب الخوف من الإسلام في الغالب هو الجهل به وبتعاليمه، وأن آثار هذا الخوف جاءت سلباً على الأقليات التي تعيش في بلاد غير مسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تعامل مع المخالفين باللين، ودعاهم بالتي هي أحسن، وأن الإسلام اعترف بحق الآخرين في العيش، ومع ذلك لم يقرهم على باطلهم. وأهم التوصيات الاهتمام بالقنوات الفضائية التي تقوم بنشر صورة الإسلام الحقيقة، وترد على الشبهات المثارة حول الإسلام، وإيجاد مواقع على الشبكة العالمية بأكثر من لغة تخاطب كل مجتمع بلغته وتنشر تعاليمنا الغراء.

Abstract

The purpose of the research is to explain the causes of Islamophobia, to show the effects of Islamophobia on contemporary reality, to show the prophetic approach to the phenomenon of fear of Islam and to try to follow the path of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) The most important questions were: What are the causes of fear of Islam ?, What are the effects of fear of Islam ?, What is the method of the Messenger of Allah peace be upon him in the treatment of the phenomenon of fear of Islam ?, The importance of research that the term Islamophobia appeared in the recent period, but was present with the existence of Islam, and intensified in the west in recent times, especially after the events of September 2001. We saw the extent of abuse of Islam and Muslims, in countries where there are Muslim minorities, so it was necessary to study this phenomenon, and to explain the causes of fear of Islam, and its effects on contemporary reality, and the prophetic approach in the phenomenon of fear of Islam. The researcher adopted the inductive analytical method, and support it with evidence. Quran explores the style of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in dealing with the phenomenon of fear of Islam, the researcher extracts hadeiths, and the style of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him).The consisted of four topics. The first topic was about the reasons for fear of Islam. The second topic: The effects of fear of Islam between the past and the present. The third topic, the Prophetic methods in the treatment of the phenomenon of fear of Islam. The fourth topic: the extent to which these methods can be applied to contemporary reality. Conclusion: Key findings and recommendations. The most important results. That Islam has never intimidated anyone, and that the reason for fear of Islam is often ignorance about it. And that the effects of this fear came negatively on minorities living in a non-Muslim country, and that the Prophet peace be upon him called them that to treat others in better way, and that Islam has recognized the right of others to live, yet he did not recognize them as invalid. The most important recommendations are the interest in satellite channels that disseminate the true image of Islam, and answer the suspicions raised about Islam, and find web sites in more than one language that addresses each community in its own language and disseminates our teachings.

مقدمـــــــــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد.

فظاهرة الخوف من الإسلام من الظواهر القديمة المتجددة، ظهرت مع ظهور الإسلام، وكانت بداية ظهورها على شكل تشكيك في الرسالة والرسول، وتحذير الناس من الدخول في هذا الدين، وبإتباع ذلك الرسول.

فالمشركون بدأوا يخوفون اتباعهم في مكة من هذا الدين، فلما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدأت حملات التخويف من اليهود، وتبعهم على ذلك المنافقين.

وقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الظاهرة بأسلوب حكيم في الداخل والخارج، أما في الداخل فدعا الناس إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبدأ بالتدرج في الدعوة، وإظهار سماحة هذا الدين، وأما في الخارج فارسل رسوله إلى الملوك والأمراء برسائل تحمل في طياتها الرحمة والمحبة والمودة، وبيان أن الدين اسمه الإسلام، وهو دين السلام، فمن أسلم يسلم.

والعجيب أن هذه ظاهرة الخوف من الإسلام لم تتوقف في زمن من الأزمان فظهرت هذه الدعاوى والتي منها أن دين الإسلام دموي قام وانتشر بقوة السيف، وأنه دين من وضع البشر، ومن هنا بدأت معاداته بالقول والفعل، فنالوا من الدين ونالوا من أتباعه.

فصيحات التخوف من الإسلام قديمة قدم الإسلام نفسه، ثم هي صيحات من هذا الإسلام القادم من دياره، وكذلك صيحات تخوف من هذا الإسلام في خارج دياره، وللأسف تنتقل الصيحات إلى صور عملية تدل على هذا التخوف.

فهل يستطيع المسلمون الآن استخدام الأساليب النبوية في عرض الدين الإسلامي؟ هذا ما سيجيب عنه البحث إن شاء الله.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

1. بيان المنهج النبوي في مواجهة ظاهرة الخوف من الإسلام.
2. السير على منهجه صلى الله عليه وسلم في مواجهة هذه الظاهرة.
3. بيان آثار الخوف من الإسلام على الواقع المعاصر.
4. القدرة على تطبيق المنهج النبوي مع أهل هذا العصر.

أسئلة البحث:

1. كيف حاور رسول الله صلى الله عليه وسلم المخالف؟.
2. ما منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في علاج ظاهرة الخوف من الإسلام؟
3. لماذا حاور رسول الله صلى الله عليه وسلم المخالفين له في العقيدة؟.
4. ما الأساليب التي ينبغي أن يسلكها المسلمون المعاصرون في التعامل مع هذه الظاهرة.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وتدعيم ذلك بالأدلة والبراهين من الكتاب والسنه.

ويتناول هذا البحث أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع ظاهرة الخوف من الإسلام، حيث يستخرج الباحث الأحاديث والمواقف من كتب الحديث، والسيرة، ويستنبط من تلك الأحاديث والمواقف أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم.

خطة البحث:

المقدمة: أهمية الموضوع وعناصره.

المبحث الأول: أسباب الخوف من الإسلام .

المبحث الثاني: آثار الخوف من الإسلام بين الماضي والحاضر.

المبحث الثالث: الأساليب النبوية في علاج ظاهرة الخوف من الإسلام.

المبحث الرابع : مدى إمكانية تطبيق هذه الأساليب على الواقع المعاصر.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

أسباب الخوف من الإسلام

أعرج في هذا المبحث سريعاً على أسباب الخوف من الإسلام إذ الهدف الأصلي من البحث بيان أسلوب التعامل مع الظاهرة، لكن لا يخفى أن ذكر الأسباب أمر مهم، ومن هذه الأسباب:

أولاً: **طبيعة الإسلام وعقيدته**:

منذ أن أشرقت شمس الإسلام وبدأ الصراع بينه وبين العقائد الأخرى كالوثنية واليهودية، وغيرهما، وبدأت تتعالى صيحات التخويف من الإسلام.

فـ"لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة عندما وصل إلى قباء قبل أن يدخل المدينة، ذهب حيي بن أخطب زعيم اليهود ومعه أخٌ له يقال له: أبو ياسر، ذهبا لاستطلاع الخبر، فذهبا ثم عادا مرة أخرى إلى مكانهما وهما كالَّين تعبين على ظهورهما كأمثال الجبال من الهموم، فقال أبو ياسر لأخيه: أهو هو ؟! - يعني أهو محمد المذكور خبره - قال: نعم، فقال: ما لك عنده ؟، فقال: عداوته ما بقيت"[1].

فالعداوة هنا للإسلام متمثلة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم رغم أنه يوقن أنه نبي آخر الزمان إلا أن طبيعته غلبته فكفر بالحق.

ثانياً: **الجهل بحقيقة الإسلام**:

قديماً قالوا: "من جهل شيئاً عاداه" فهؤلاء يجهلون طبيعة هذا الدين الذي ينسجم مع الفطرة والعقل، والذي يشع رحمة وتسامحاً، وذلك بسبب أنهم يتعاملون مع الإسلام من خلال ما يسمعون عنه، وما يكتب عنه من خلال أعداء الإسلام، ولم يكلفوا أنفسهم النظر في تعاليمه وهداه، فالإسلام يعرض هناك بصور سلبية ولم يعرض على حقيقته، والذي يؤكد ذلك حقيقة واقع

1- مع المصطفى (ص: 212)، إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم (ص: 403).

المسلمين المرير الذين لم يحسنوا عرض ما لديهم، فصاروا كالمحامي الذي يدافع عن قضية عادلة لكنه لم يحسن العرض ولا الدفاع، فخسر قضيته، وضاع الحق.

ثالثاً: **محاكمة الإسلام إلى أفعال بعض المنتسبين إليه**:

أحياناً يساهم البعض ممن ينتمون إلى الإسلام بتصرفاتهم المسيئة، والأخذ بالأقوال الشاذة في تشويه صورة الإسلام عند غير المسلمين.

رابعاً: **الفتوحات الإسلامية**:

على سبيل المثال فإن دحر جحافل الروم والفرس وامتداد التوسع والمد الإسلامي لقرون طويلة متلاحقة قد تسبب في العداء من ناحية الغرب؛ حيث إنه الوريث الأصلي للإمبراطورية الرومانية.

وكذلك مواقف المجابهة العنيفة بين الإسلام والغرب - والتي سجلها التاريخ متمثلة في فتح الأندلس والقسطنطينية وموقعة بلاط الشهداء، والتي لو انتصر المسلمون فيها لدخل الإسلام إلى باريس - كانت من الأسباب التي رسخت الخوف من الإسلام في نفوس أهل المجتمع الغربي.

المبحث الثاني

آثار الخوف من الإسلام بين الماضي والحاضر

الأول: **الطعن في رسالة الإسلام والتشكيك في نبوة الرسول**:

منذ انبعاث رسالة الإسلام، لم تكد تتوقف الأصوات التي تشكك بصحة تلك الرسالة وصدق.

ومن ذلك أن الوليد بن المغيرة ثم أدبر عنهم ثم رجع إليهم وقال فكرت في أمره فإذا هو ساحر يفرق بين المرء وزوجه وأقربائه فاجتمع رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر فنزل " فقتل كيف قدر ".

وقاموا بتشويه أخلاقيات وطبائع هذا الدين، فأخذوا يشيعون عنه – على سبيل المثال – بأنه دين يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وأهله وهكذا، ولم يعلموا أنه ما جاء دين يجمع الناس ويوحد صفوفهم مثل دين الإسلام، دين يبغي توحيد الناس على أساس واحد متين، يستوي فيه أهل الأرض جميعًا وهو أساس العقيدة، وهذا ما كانت تأباه قريش.

وهكذا يفعل أهل الباطل دائمًا، يتهمون الإسلام في ذاته، وكما يشوهون صورة الداعية يشوهون صورة الدين، فنرى –مثلاً– من يلصقون به وبأتباعه تهمة الإرهاب وهو عنها بريء، وما جاء دين يدعو إلى الرحمة ونشر السلام كدين الإسلام.

كذلك يتهمونه بالجمود الفكري، وما جاء دين يدعو إلى التفكر وإعمال العقل كدين الإسلام، وأيضًا يتهمونه بالتخلف العقلي، وما جاء دين يدعو إلى التعلم والتفقه وعمارة الأرض كهذا الدين الخاتم.

الثاني: **النيل من أتباع هذا الدين**:

فعن أبي عبيدة بن مُحَمَّد بن عمار، عَنْ أبيه قَالَ: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبّ النَّبيّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ وذكر آلهتهم. بخير ثُمَّ تركوه، فلما أَتَى رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: مَا وراءك شيء؟

قَالَ:شر مَا تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قَالَ: كيف تجد قلبك؟ قَالَ:مطمئن بالإيمان. قَالَ: إِنَّ عادوا فعد. فنزلت إِلا مَنَ اكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَان.

الثاني: **السخرية والتطاول على عقيدة المسلمين وقرآنهم وسنة نبيهم**:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ • وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ • وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ • وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ • وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ • فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾. [المطففين:29-34].

وذلك أن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- مر بنفر من المنافقين ومعه نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون، ويقال حكاية عن كفار مكة أنهم كانوا يضحكون من ضعفاء المسلمين وإذا مروا بهم وهم جلوس يتغامزون يعني: يتطاعنون بينهم.

الثالث: **إثارة الصراعات**:

وذلك بين المسلمين أنفسهم من جانب، والمسلمين والأقليات غير المسلمة من جانب آخر.

الرابع: **تشويه صورة الإسلام**:

ففي القديم حاول المشركون تشويه الإسلام، فحاولوا تشوية الرسول صلى الله عليه وسلم، وتشويه رسالته التي جاء بها.

فوصفوا القرآن بقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4].

وفي الحديث حاولوا فعل ذلك عن طريق نشر كتب فيها اتهام للإسلام بأنه دين العنف والإرهاب، بل ورسم رسومات تسيء لصاحب الرسالة.

المبحث الثالث

الأساليب النبوية في علاج ظاهرة الخوف من الإسلام

أولاً: إرساء مبدأ الأمان للمخالفين له:

فقد أمن المخالفين له في الداخل بكتابة وثيقة أمان أشبه ما يكون بالمعاهدات التي تعقد، بحيث يطمأن أهل الدخل لهذا الدين، وينزع من نفوسهم مظاهر الخوف والرعب.

فكتب وثيقة لأهل المدينة:

جاء في هذه الوثيقة:"وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ [يهلك] إِلاَّ نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِه، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلاَّ نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِه، وَإِنَّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ لِبَنِي الشَّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ لَا يُنْحَجَزُ عَلَى ثَأْرِ جُرْحٍ، وَإِنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ، وَأَهْلَ بَيْتِه، إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى أَبَرِّ هَذَا [الرضا به]"[1].

فأمن الجميع، وجعلهم سواسية أمام القانون.

وعقد بعض التحالفات التي تحمل الأمن والأمان لكل من هو في الخارج والداخل.

فعاهد قريشا في صلح الحديبية، وسمي ذلك «الفتح المبين»، ودخل

1- سيرة ابن هشام (1/ 503)، الروض الأنف (4/ 176)، السيرة النبوية لابن كثير (2/ 322).

في حلفه خزاعة ، وكانت على الكفر: «فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله وعهده»، فالمعاهدة مع غير مسلمين، والتحالف مع غير مسلمين أيضا، حيث دخلت بنو بكر ، وكانت على الإسلام، في حلف قريش : «وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم»[1] . فهذه تحالفات مع أهل مكة رغم عداوتهم للإسلام وأهله. وقام بالمحافظة على المعاهدات.

فعن سُلَيْم بْن عَامِر قال: كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّوم عَهْدٌ فَكَانَ يَسيرُ في بِلَادهمْ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ أَغَارَ عَلَيْهِمْ وَإِذَا رَجُلٌ عَلَى دَابَّة أَوْ عَلَى فَرَس وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لَا غَدْرٌ مَرَّتَيْن - وَإِذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَميُّ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: سَمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْم عَهْدٌ فَلَا يَحُلَّنَّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءً» فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ بالنَّاس[2] .

وقالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، قَالَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ ، قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْش ، قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ ، فَأَخَذُوا منَّا عَهْدَ اللهِ وَميثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَة ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ : انْصَرِفَا ، نَفِي لَهُمْ بعَهْدهمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ[3] .

ثانياً: التعامل مع الجميع بالرحمة:

فتعامل مع آسراهم، ومع من فكروا في النيل منه بالرحمة. ففي معركة بدر عندما أسر المسلمون سبعين رجلاً من المشركين عاملهم بالرفق واللين.

قال أَبو عَزِيز بْن عُمَيْر ابْن أَخِي مُصْعَب بْن عُمَيْر: كُنْتُ في الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْر ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَآلَه وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بالْأُسَارَى

1- هذا جزء من حديث طويل جداً أخرجه: أحمد في المسند (31/ 212) ح(18910)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الجزية باب نَقْض أَهْل الْعَهْد أَوْ بَعْضهمُ الْعَهْدَ (9/ 233) ح(19331)، وفي السنن الصغرى (8/ 169) ح(3781)، والطحاوي في شرح معاني الآثار كتاب الحجة في فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة (3/ 315) ح(5036)،وقال الشيخ شعيب: إسناده حسن(تحقيق المسند (31/ 220).

2- أخرجه: الترمذي في كتاب السير باب ما جاء في الغدر (4/ 143) ح(1580)، وقال: حسنصحيح، وأحمد في المسند (28/ 229) ح(17015)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (2/ 472) ح(1251)، وابن زنجويه في الأموال (1/ 401) ح(660)، وقال الشيخ الألباني: صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (5/ 472) ح(2357).

3- أخرجه: مسلم في كتاب المغازي بَاب الْوَفَاء بالْعَهْد (5/ 176) ح(4662).

خَيْرًا» ، وَكُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَكَانُوا إِذَا قَدِمُوا غَدَاءَهُمْ أَوْ عَشَاءَهُمْ أَكَلُوا التَّمْرَ وَأَطْعَمُونِي الْخُبْزَ بِوَصِيَّةِ وَآلِهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ[1].

فانظر إلى هذا التعامل مع أعداء محاربين ، وانظر إلى تطبيق الصحابة لهذا القول.

وعندما أتى عمير بن وهب المدينة بعد معركة بدر متفقاً مع صفوان بن أمية على أن يتكفل صفوان بدينه وعياله وأن يقتل هو الرسول – صلى الله عليه وسلم –. فعلم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالوحي من عند الله.. فكيف تعامل معه الرسول قربه إليه وقال: أدن يا عمير وأخبره بخبره فأسلم عمير مباشرة[2].

وأيضا ما فعله فضالة بن عمير بن الملوح

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: إِنَّ فَضَالَةَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوَّحِ اللَّيْثِيَّ أَرَادَ قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَضَالَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ:: اسْتَغْفِرْ اللَّهَ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ، فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ. قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ، فَقُلْتُ: لَا، وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قالتْ هَلُمَّ إلى الحديث فقلتُ لَا ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللهُ وَالْإِسْلَامُ

لَوْمَا رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَـه ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الْأَصْنَامُ

1- أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (22/ 393) ح(977)،وفي المعجم الصغير (1/ 250) ح(409)، وقال: لَايُرْوَى عَنْ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن (مجمع الزوائد كتاب المغازي والسير باب ما جاء في الأسرى (6/ 115) ح(10007).

2- أخرج القصة: الطبراني في المعجم الكبير (17/ 56) ح(117)، والطبراني في تاريخ الرسل والملوك (2/ 472)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص: 479) ح(413)، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني مرسلا وإسناده جيد مجمع الزوائد كتاب علامات النبوة باب إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات (8/ 506) ح(14063)، وانظر: سيرة ابن هشام (1/ 662)، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (3/ 126)، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (2/ 28).

لَرَأَيْت دينَ اللهَّ أَضْحَـى بَيِّنًا وَالشِّرْكُ يَغشى وَجْهَهُ الإظلامُ[1]

ومن تعامله العظيم – صلى الله عليه وسلم – ما فعله مع كفار قريش بعد الفتح:

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ دَخَلَ الْبَيْتَ، فَصَلَّى بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ، فَقَالَ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، مَاذَا تَقُولُونَ، وَمَاذَا تَظُنُّونَ؟» فَقَالَ: فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: نَقُولُ خَيْرًا، وَنَظُنُّ خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ قَدَرْتَ. قَالَ: " فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92] أَلا إِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ، إِلاَّ سِدَانَةَ الْبَيْتِ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ". فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ .

وفي رواية: أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ :« مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ ». قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ :« اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ[2] .

وكذلك من أعظم المواقف موقف الرسول مع أهل الطائف قالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمُ الْعَقَبَةِ أَنْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كَلالٍ – هَكَذَا قَالَ ابْنُ طَرِيفٍ وَإِنَّمَا هُوَ كُلالٌ – فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَغْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ

1- سيرة ابن هشام (2/ 417)، جوامع السيرة لابن حزم (ص: 186)، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ص: 222)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (1/ 692)، عيون الأثر لابن سيد الناس(2/ 228)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي (5/ 236).

2- أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى كتاب السير باب فتح مكة حرسها الله (9/ 118) ح(18739)، والأزرقي في أخبار مكة (2/ 113)، وابن زنجويه في الأموال (1/ 293)ح(456)، والربيع بن حبيب في مسنده (ص: 170) ح(419)، والطحاوي في معرفة السنن والآثار (13/ 293) ح(18231)، والواقدي في المغازي (2/ 835)، وقال الألباني: سند ضعيف مرسل. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (3/ 308). وتنظر القصة الصحيحة في صحيح مسلم كتاب المغازي بَاب فَتْحِ مَكَّةَ(5/ 170) ح(4645).

الْجِبَال لتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ بِمَا شِئْتَ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[1].

والآثارُ كثيرةٌ في حسن تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع غيره، ويكفي من القلادة ما أحاطت بالعنق ومن السوار ما أحاط بالمعصم كما يقال.

ثالثاً: تقديم الإسلام بصورة مشرقة مشرفة:

ببيان أنه دين الرفق والرحمة والاعتدال فالتوسط والاعتدالقاعدة كلية شرعها الإسلام، وهدى إليها، وحض على التزامها أبدا.

ولقد جاءت رسالة الإسلام وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق مقصد نفي الغلو ونسخه بإطلاق، ولقد ثبت في صحيح مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ، قَالَ : دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا قَالَ : فَأَلْقَى اللهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا ، أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ[2].

أي استجبت لهذا الدعاء الراغب في اللطف والرحمة والتخفيف، المستجير بالله من الإصر، ومن تحميل النفس ما لا تطيق.

1- أخرجه: الفاكهي في أخبار مكة (4/ 258) ح(2624)، والبيهقي في دلائل النبوة بَابُ مَسِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم إِلَى الطَّائِفِ (5/ 156).

2- أخرجه: مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف إلا بما يطاق (1/ 81) ح(245).

لكن الغلو يشوه هذا المقصد الجميل، فالغالي يند عن هذا المقصد حتى يبدو وكأنه يدعو الله بأن يحمله فوق ما يطيق، وكأنه يعاهد الله على ما لا يستطيع من الأعمال.. وهذا تشويه للصورة البهية: المنهجية والتطبيقية.

ومن هذا المنطلق جعل دعوته عن طريق الترغيب والتبشير. فقد نشر النبي صلى الله عليه وسلم منهج التبشير بالفلاح في الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، ورغب الناس في الدخول في دين الله.

فهو دين الرحمة والمغفرة ففي الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيَتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً[1] .

إن الترغيب، والتبشير من أعظم الأمور التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالف الذي هو أصل مفطور على الخير فالله تعالى خلق عباده كلهم "حنفاء" كما يقول الحديث القدسي.

ومما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض دعوته بأسلوب البشارة ما روي عن ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهليا أسلم، فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز، يقول: " يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا "[2]، وفي هذا بشارة بالفلاح لمن آمن.

ودعا الناس إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. فلَمَّا قَدِمَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ الْكُوفَةَ، أَتَيْنَاهُ فِي نَفَرٍ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ» ، قُلْتُ: وَمَا الْإِسْلَامُ؟ فَقَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا

1- أخرجه: مسلم في كتاب الدعوات باب فضل الدعاء (8/ 67) ح(6931).

2- أخرجه: أحمد في مسنده (25/ 404) ح(16023)، والحاكم المستدرك على الصحيحين في كتاب الإيمان(1/ 61) ح(39)، وقال الشيخ شعيب في تحقيق المسند: صحيح لغيره.

إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَتُؤْمِنُ بِالْأَقْدَارِ كُلِّهَا، خيْرِهَا وَشَرِّهَا، حُلْوِهَا وَمُرِّهَا»[1].

فانظر إلى أثر قوله أسلم تسلم حين قال لأبي قحافة والد أبي بكر «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أجيئه» فقال: يمشي هو إليك يا رسول الله، أحق من أن تمشي إليه، فأجلسه بين يديه، ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: «أسلم تسلم» فأسلم[2].

فنشر الدعوة بهذه الطريقة ينزع من المخالف الخوف والرهبة التي تصيبه. وأظهر سماحة هذا الدين.

عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَهْمٍ، قَالَ: قَالَ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ خِفْتُ خَوْفًا شَدِيدًا فَخَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي، وَفَرَّقْتُ عِيَالِي فِي مَوَاضِعَ يَأْمَنُونَ فِيهَا، فَانْتَهَيْتُ إِلَى حَائِطِ عَوْفٍ، فَكُنْتُ فِيهِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خُلَّةٌ، وَالْخُلَّةُ أَبَدًا مَانِعَةٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ هَرَبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: أَبَا مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ. قَالَ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: الْخَوْفُ. قَالَ: لَا خَوْفَ عَلَيْكَ أَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِكَ قُلْتُ: هَلْ لِي سَبِيلٌ إِلَى مَنْزِلِي، وَاللهِ مَا أَرَانِي أَصِلُ إِلَى بَيْتِي حَيًّا حَتَّى أُلْفَى فَأُقْتَلَ أَوْ يَدْخُلَ عَلَيَّ مَنْزِلِي فَأُقْتَلَ، وَإِنَّ عِيَالِي لَفِي مَوَاضِعَ شَتَّى. قَالَ: فَاجْمَعْ عِيَالَكَ فِي مَوْضِعٍ، وَأَنَا أَبْلُغُ مَعَكَ إِلَى مَنْزِلِكَ، فَبَلَغَ مَعِي، وَجَعَلَ يُنَادِي عَلَى أَنَّ حُوَيْطِبًا آمِنٌ فَلَا يُهَجْ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرْتَ بِقَتْلِهِمْ؟ قَالَ: فَاطْمَأْنَنْتُ وَرَدَدْتُ عِيَالِي إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَعَادَ إِلَيَّ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ حَتَّى مَتَى؟ وَإِلَى مَتَى؟ قَدْ سَبَقْتَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَفَاتَكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَبَقِيَ خَيْرٌ كَثِيرٌ فَأَتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَرَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ،

1- أخرجه: ابن ماجه في المقدمة باب في القدر (1/ 34) ح(87)، وأحمد في المسند (30/ 196) ح(18260)، والحاكم المستدرك على الصحيحين كتاب الفتن والملاحم(4/ 564) ح(8582)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن.

2- أخرجه: ابن سعد في الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الرابعة (ص: 444) ح(204)، الطبري في تاريخ الرسل والملوك (11/ 518)،والحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي (3/ 48) ح(4363)، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (5/ 274)، وابن عساكر في تاريخ دمشق لابن عساكر (15/ 358).

وَأَحْلَمُ النَّاسِ شَرَفُهُ شَرَفُكَ ، وَعِزُّهُ عِزُّكَ قَالَ : قُلْتُ : فَأَنَا أَخْرُجُ مَعَكَ ، فَأَتَيْتُهُ فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَطْحَاءِ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَوَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَسَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ كَيْفَ يُقَالُ إِذَا سُلِّمَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلِ : السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقُلْتُهَا ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ حُوَيْطِبُ . فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ . قَالَ : وَسُرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلاَمِي ، وَاسْتَقْرَضَنِي مَالاً فَأَقْرَضْتُهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَشَهِدْتُ مَعَهُ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ ، وَأَعْطَانِي مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ مِائَةَ بَعِيرٍ[1] . فأنت ترى كيف نزع الخوف من قلبه وأمنه.

رابعاً: **تأليف القلوب**:

ذلك أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وقد اجتمعت هذه السبل في دعوته صلى الله عليه وسلم، فقد كان يتعامل مع كل بحسبه فيعطي محبي المال شيئًا يتألف به قلوبهم، ويتعامل مع حديثي العهد بالإسلام بما يرسخ الإيمان في قلوبهم فتجده صلى الله عليه وسلم يؤلف القلوب ببذل العطاء العظيم.

فأعطى صلى الله عليه وسلم أناسا ما زالوا على شركهم، مثل صفوان بن أمية إذ أعطاه صلى الله عليه وسلم عطاء عظيما، فعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ، قَالَ : أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ ، وَالأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِئَةً مِنَ الإِبِلِ ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ

فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلاَ حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لاَ يُرْفَعِ

1- الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة (3/ 561) ح(6084) من حديث جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة الأشهلي.

قَالَ : فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم مِئَةً[1] .

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : غَزَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْطَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِئَةً مِنَ النَّعَمِ ، ثُمَّ مِئَةً ، ثُمَّ مِئَةً[2] .

والسِّر في ترغيبه صلى الله عليه وسلم بعض الكفار بالمال لاعتناق الإسلام. ومن السبل التي سلكها صلى الله عليه وسلم تأليف القلوب بالمصاهرة، فعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِى سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَوِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَكَانَتِ امْرَأَةً مَلاَّحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ - قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها - فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِى كِتَابَتِهَا فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِى رَأَيْتُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِى مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ وَإِنِّى وَقَعْتُ فِى سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَإِنِّى كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِى فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِى كِتَابَتِى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « فَهَلْ لَكِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ». قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أُؤَدِّى عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ ». قَالَتْ قَدْ فَعَلْتُ قَالَتْ فَتَسَامَعَ - تَعْنِى النَّاسَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ فَأَرْسَلُوا مَا فِى أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْىِ فَأَعْتَقُوهُمْ وَقَالُوا أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا أَعْتَقَ فِى سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِى الْمُصْطَلِقِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ هَذَا حُجَّةٌ فِى أَنَّ الْوَلِىَّ هُوَ يُزَوِّجُ نَفْسَهُ[3] .

فأعتق الناس سباياهم إكراما لها لأنها صارت من أمهات المؤمنين[4] فظهرت

1- أخرجه: مسلم في كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام(3/ 107) ح(2407).
2- أخرجه: مسلم في كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم باب في عطائه صلى الله عليه وسلم (7/ 75) ح(6088).
3- أخرجه: أبو داود في كتاب العتق باب العتق على الشرط، (4/ 34) ح(3933)، وأحمد في المسند(43/ 384) ح(26365)، وقال الشيخ شعيب: إسناده حسن.
4- انظر: الفتح الرباني 14 / 110.

حكمته صلى الله عليه وسلم في هذه المصاهرة وهي تأليف هذه المرأة وتأليف قومها على الإسلام، فحينما سارع أصحابه رضي الله عنهم بإعتاق ما في أيديهم، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم ذلك إلى الإيمان بالله ورسوله لما رأوا من الكرم وحسن الخلق[1]. فتأليف القلب أكبر سبيل إزالة الخوف.

خامساً: **العفو عن المسيء**:

ومن السبل التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم الإحسان إلي المخالفين بالعفو والامتنان، وذلك من كمال حكمته صلى الله عليه وسلم ممتثلا قول الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:34].

ومما يدل على ذلك من أفعاله صلى الله عليه وسلم : أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر : أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه و سلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال (إن هذا اختراط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني ؟ فقلت الله ثلاثا) . ولم يعاقبه وجلس[2].

ففي هذا العفو والمن دليل على شدة رغبته صلى الله عليه وسلم في تأليف الكفّار ليدخلوا في الإسلام.

وقد كانت نتيجة هذا العفو كما يرغب صلى الله عليه وسلم، حيث أسلم الرجل ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير.

1- انظر: زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات وحكمة تعددهن الشيخ محمد محمود الصواف، ص 74، وانظر: تعدد الزوجات د. عبدالناصر توفيق العطار ص 141.

2- أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد والسير باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة (3/ 1065) ح(2753)، وفي باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر (3/ 1066) ح(2756)، وفي كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع (4/ 1515) ح(3905 – 3906).

ويدل على تألفه بالعفو أيضا كريم عفوه وعظيم منّه على ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فعن أبي هريرة قال : بعث النبي صلى الله عليه و سلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه و سلم فقال (أطلقوا ثمامة). فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله[1].

فانقلب بغض هذا الرجل المشرك حبًّا وعداوته صداقة، فأسلم وحسن إسلامه، وذلك لما أسداهإليه النبي صلى الله عليه وسلم من العفو والمنّ بغير مقابل .

ويشير النووي إلى الحكمة النبوية في هذا العفو والملاطفة فيقول: " هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير ".

وبعد فتح مكة أعلن عليه الصلاة والسلام العفو عن عامة أهل مكة، وهم الذين عرفوا فيما بعد بالطلقاء لمنه صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يعاقبهم صلى الله عليه وسلم عملاً بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126] .

فقد روى الترمذي عن أبي بن كعب قال: «لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنُرْبِيَنّ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126] فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كفوا عن القوم إلا أربعة»[2] فكانت عاقبة ذلك إسلام كثير من هؤلاء الطلقاء.

1- أخرجه: البخاريفي كتاب المساجد باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير في المسجد (1/ 176) ح(450)، وفي كتاب الخصومات باب التوثق ممن تخشى معرته (2/ 853) ح(2290)، وفي كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال(4/ 1589) ح(4114)، ومسلم في كتاب المغازي بَاب رَبْطِ الأَسِيرِ وَحَبْسِه (5/ 158) ح(4611).

2- أخرجه: الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النحل سنن الترمذي - ط دار احياء التراث (5/ 299) ح(3129)، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند(35/ 152) ح(21229).

سادساً: **التعرف على المخالفين**:

فبالتعارف يحصل التواصل، ويحصل الأمن القلبي والنفسي، فقد كان يبدأ مدعويه بالتعرف عليهم قبل دعوتهم، فلنتأمل ما ترويه لنا كتب السيرة حيال ذلك. يذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم في رحلته إلى الطائف، وحينما ألجأته ثقيف إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة التقى غلاما لهما اسمه " عدَّاس " فماذا دار بينهما من حوار؟.

أَقْبَلَ ووَضَعَ العنب بَيْنَ يَدَيْ رَسُول اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ، فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فِيه يَدَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهَّ، ثُمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهه، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهَّ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذَه الْبِلَاد، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلَاد أَنْتَ يَا عَدَّاسُ، وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْه وَقَدَمَيْه.

قَالَ: يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبه: أَمَّا غُلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ. فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ، قَالَا لَهُ: وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ! مَا لَكَ تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْه وَقَدَمَيْه؟ قَالَ: يَا سَيِّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَا لَهُ: وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ، لَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينه[1].

فبدأه صلى الله عليه وسلم بالتعرف على بلاده وديانته، فكان هذا التعرف نقطة البداية في تحول هذا الرجل من دينه إلى دين الإسلام.

وحينما التقى صلى الله عليه وسلم وفد يثرب، بدأهم بسؤاله: مَنْ

1- انظر: مغازي الواقدي (1/ 33)، سيرة ابن هشام (1/ 421).

أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَفَرٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، قَالَ: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟

قَالُوا: بَلَى. فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ. قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ"[1].

فكان هذا التعرف مبدأ الحوار معهم، حيث عرض عليهم دعوته المباركة، فأسلموا ودعوا أقوامهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكره صلى الله عليه وسلم.

وبعد أن هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة استمر يتعرف على مدعويه من الوفود وغيرهم قبل عرض الدعوة عليهم، من ذلك «قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس حين قدموا عليه: " من القوم أو من الوفد؟ " قالوا: ربيعة، قال: " مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى»[2].

وحين قدم عليه مبعوث " هرقل " بجواب رسالته صلى الله عليه وسلم وهو في تبوك بدأه بقوله: " ممن أنت؟ يقول: فقلت: أنا أحد تنوخ، قال: " هل لك فيالإسلام، الحنيفية ملة أبيك إبراهيم "[3].

فتعرف عليه صلى الله عليه وسلم قبل أن يعرض عليه الإسلام، فلما عرفه دعاه إلى الإسلام.

هذه الشواهد بينت مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على التعرف على من يدعوهم قبل أن يعرض الدعوة عليهم، فما الحكمة يا ترى من هذا التعرف؟.

فمن الحكمة في التعرف على المدعوين إنزالهم منازلهم، وقد أشار ابن حجر إلى هذه الحكمة بقوله: " قال ابن أبي جمرة: في قوله: " من القوم؟

1- سيرة ابن هشام (1/ 428)، دلائل النبوة للبيهقي (2/ 434)، الروض الأنف (4/ 44).

2- أخرجه: البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان(1/ 28) ح(53)، وفي كتاب العلم باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم (1/ 45) ح(87)، وفي كتاب الأدب باب قول الرجل مرحباً صحيح البخاري ط ابن كثير (5/ 2285) ح(5822)، وفي كتاب التمني باب وصاة النبي صلى الله عليه وسلم وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم (6/ 2652) ح(6838).

3- أخرجه: أحمد في المسند (24/ 416) ح(15655)، وسنده ضعيف.

" دليل على سؤال القاصد عن نفسه، ليعرف فينزل منزلته "[1].

ومن الحكمة في التعرف على المدعوين تطييب نفوسهم، وإزالة الوحشة عنها، وذلك بالترحيب بهم، وملاطفتهم، والثناء عليهم في وجوههم، إذا أمنت الفتنة[2] ويدل على هذه الحكمة «قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: " مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا ندامى».

قال صاحب الفتح الرباني: " قال ابن أبي جمرة بشرهم بالخير عاجلًا وآجلًا، لأن الندامة إنماتكون بالعاقبة فإذا انتفت ثبت ضدها "[3].

ومن الحكمة في التعرف على المدعو إتاحة الفرصة للداعية في معرفة خصائصه، وعرفه، وطبائعه، وطرق التأثير فيها، وكيفية الوصول إلى إقناعها.

ألا ترى «أنه صلى الله عليه وسلم، حينما رأى سيد الأحابيش قادما عليه وهو في الحديبية، قال: " هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له " فبعثت له واستقبله الناس يلبون»[4].

فبمعرفته صلى الله عليه وسلم لطبيعة هذا الرجل وتقاليده استطاع إقناعه بيسر وسهولة، حيث عاد الرجل وهو يقول: " سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ".

إذا معرفة المدعو وتقاليده وموافقته فيما يميل إليه ويهواه من المباحات عامل مهم في استمالته إلى دين الإسلام، روت عائشة رضي الله عنها، قالت: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " دعهم أمنا بني أرفدة " يعني من الأمن»[5].

1- ابن حجر، فتح الباري 1 / 79.
2- انظر: المرجع السابق 1 / 179.
3- الفتح الرباني 1 / 71
4- أخرجه: البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد(2/ 974) ح(2581).
5- البخاري،صحيح البخاري،كتاب المناقب، باب قصة الحبش، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " يابني أرفدة " (ك 65،ح 3337) 2 / 1298، 1299.

فلم يعنف عليهم صلى الله عليه وسلم تطييبا لنفوسهم، واستمالة لها إلى الإسلام.

سابعاً: ارسل رسوله إلى الملوك والأمراء برسائل تحمل في طياتها الرحمة والمحبة والمودة:

فانظر مثلاً إلى هذه الرسالة التي أرسلها إلى هرقل: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وَأَسْلِمْ يُؤْتَكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ ، وَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

وعَنْ أَنَسٍ : أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى ، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وقولهَ أسلم تسلم غَاية فِي البلاغ، قال ابن حجر: "فيه بشارة لمن دخل في الإسلام أنه يسلم من الآفات اعتبارا بأن ذلك لا يختص بهرقل كما أنه لا يختص بالحكم الآخر وهو قوله أسلم يؤتك الله أجرك مرتين لأن ذلك عام في حق من كان مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله وأسلم لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي أرسل إليه أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله تعالى[3].

وقال النووي: الآية في هذا الكتاب جمل من القواعد وأنواع من الفوائد منها دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم وهذا الدعاء واجب

1- صحيح البخاري باب كيف كان بدء الوحي (1/ 7) ح(7)، وفي كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة وأن لايتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله (3/ 1074) ح(2782)، وفي كتاب التفسير باب سورة آل عمران (4/ 1657) ح(4278)، ومسلم في كتاب المغازي بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ (5/ 163) ح(4630) من حديث ابن عباس عن أبي سفيان.

2- أخرجه: مسلم في كتاب المغَازِي بَابُ كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ (5/ 166) ح(4632).

3- فتح الباري لابن حجر (8/ 221).

والقتال قبله حرام إن لم تكن بلغتهم دعوة الإسلام وإن كانت بلغتهم فالدعاء مستحب[1].

وأرسل عمرو بن أُمية الضمري إلى نجاشي الحبشة في السنة السادسة من الهجرة النبوية؛ وبعث معه كتاباً جاء فيه :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيْمِنَ وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِي وَبِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمُ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا جَاءُوكَ فَاقْرِهِمْ وَدَعِ التَّجَبُّرَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللهِ وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى»[2].

لقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم نجاشي الحبشة بالله الواحد الأحد ؛ وموقف الإسلام من النبي عيسى وأمه مريم العذراء ؛ وعَرَّف بالوفد الإسلامي وكيفية استقبالهم وإكرامهم ؛ ولذلك كان رد النجاشي ايجابياً فأسلم وعندما مات صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب.

وفي السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة ؛ بعث رسول الله حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط ؛ وحمله كتاباً مختوماً بختم الرسول، وقد رد المقوقس عظيم القبط بكتاب وجههُ للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرهُ فيه بالاعتراف بالإسلام ؛ وأكرم سفَير النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ دفع له مائة دينار ذهب وأهداه خمسة أثواب ؛ وأرسل للنبي جاريتين هما مارية التي تسرى بها الرسول؛ وسيرين التي تزوجها حسان بن

1- شرح النووي على مسلم (12/ 107).

2- أورده: ابن اسحاق في السيرة (ص: 228)، والطبري في تاريخ الرسل والملوك (2/ 131)، وابن حبان في السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (1/ 297)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الهجرة (2/ 679) ح(4244)، والبيهقي في دلائل النبوة بَابُ مَجَاءَ فِي كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ (2/ 308)، وابن كثير في السيرة النبوية (2/ 41)، والبداية والنهاية (3/ 105).

ثابت ؛ ومن بين الهدية المرسلة للنبي عشرون ثوباً من قباطي مصر وبغلة[1].

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَهْدَى مَلِكُ مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ يُقَالُ لَهُ: الْمُقَوْقِسُ جَارِيَةً قِبْطِيَّةً مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ تُسَمَّى مَارِيَةُ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ مَعَهَا ابْنَ عَمٍّ لَهَا شَابًّا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ذَاتَ مَدْخَلٍ خَلْوَةٍ فَأَصَابَهَا فَحَمَلَتْ إِبْرَاهِيمَ.

وعند الطبراني: «أَهْدَى صَاحِبُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ الْمُقَوْقِسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكْحُلَةَ عيدَانَ شَامِيَّةً، ومرآةً، ومُشْطًا»[2].

مما تقدم نخلص إلى أن ما حث مع المقوقس جاء نتيجة ايجابية فحواها اعتراف عظيم القبط بالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فضلاً عن أكرام سفير الرسول وهدايا ثمينة .

وبالإجمال اتسمت السفارات النبوية السياسية إلى الملوك العرب وشيوخ القبائل العربية كونها خاطبت عقولهم وضمائرهم من عاصمة الإسلام المدينة المنورة . للانضواء تحت راية الإسلام الحنيف والاعتراف بسلطة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة وبذلك تكون السلطتين الدنيوية والدينية قد أنيطتا بشخص النبي ؛ لذا فمن يعترف في هذه المكاتبات يعني ظاهرياً على الاعتراف بالإسلام وبسلطة الرسول على مناطق واسعة من شبه الجزيرة العربية ؛ وهكذا فإن هذه المكاتبات حملت رغبات حقيقية في إشاعة الأمن والسلام تحت راية الإسلام وبزعامة الرسول القائد؛لتوحد مناطق شبه الجزيرة العربية.

إلى غير ذلك من الكتب والرسائل التي حملت في طياتها الحب والسلام والأمان.

واعتراف بحق الآخر في الحياة والعيش .

من خلال هذه الكتب والرسائل نرى من الحقائق التي لا جال فيها أن

1- ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 339) ح(5305).

2- أخرجه: ابن أبي عاصم في الآحادوالمثاني (5/ 447) ح(3124)، والطبراني مختصراً في المعجم الأوسط (7/ 213) ح(7305)، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ إِلَّا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ يُونُسَ ".

النبي صلى الله عليه وسلم اعترف بسلطة إمبراطور الروم. ودعوة الأخير للاعتراف بالإسلام دينا ودولة. ووسمه بتحية الإسلام؛ واستشهد نبي الرحمة بالآية القرآنية التي تدعو أهل الذمة من اليهود والنصارى للتقارب مع المسلمين الموحدين فالرابط المشترك بين هذه الأديان وحدانية الله والإخلاص في عبادته ؛ وحمل النبي صلى الله عليه وسلم الإمبراطور هرقل الإثم في حالة عدم الإيمان والاعتراف بالرسالة الإسلامية؛ وعلى عكس ذلك كسب الأجر مرتين.

ولم يكره أحداً على الدخول في الدين.

من خلال الوثيقة السابقة نرى أن النبي صلى الله عليه وسلك كفل للجميع حرية العقيدة، فجعل كل فرد مسئولاً عن اختياره لدينه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:256]، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق:45]، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:22]، ذلك أن حرية التدين، أو اختيار الدين، يعتبر من أرقى أنواعَ الحرية والاختيار وأعلاها وأسماها، لذلك فالإكراه على الدين يناقض كرامة الإنسان من جانب، كما يناقض قيم الدين ونصوصه من جانب آخر، فحرية التدين قيمة أساس في المجتمع الإسلامي، وعدم الإكراه والقبول بصاحب الخيار والمعتقد (الآخر) هو استجابة لأوامر الدين والتزام بقيمه، قال تعالى مخاطبا المؤمنين به: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، فالمطلوب إليهم هو بيان الرشد من الغي وترك الحرية للناس، فالإكراه يضع أقنعة مزيفة ولا يحقق قناعة، ويخلق إنسانا مزيفا منقوص الإنسانية، ويزيد من مساحة النفاق والمنافقين.

وقضية عدم الإكراه، كانت حقيقة قائمة ومسلّمة من المسلّمات في الواقع الإسلامي، كما أنها إحدى القيم الرئيسة في القرآن والسنة، ولم تكن شعارا مثاليا بعيدا عن التجلي والتمثل والتجسيد في الواقع ؛ لم تكن شعارا للمفاخرة، لأن انتقاصها يعني معصية وعصيانا لله وانتقاصا للتدين وإثما وعدم التزام

بتعاليم الدين، والالتزام بها طاعة لله وثواب على هذه الطاعة.

تاسعاً: **احترام مشاعر الآخرين**:

في الصحيحين عن عبد الرحمن بن ليلى قال: كان سهل بن حنين وقيس بن سعد - قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة، فقام سهل بن حنين وقيس بن سعد، فقيل لهما: إنها جنازة واحد من أهل الأرض يعني من أهل الذمة -يعني من النصارى- يعني اجلسا لا تقوما إنها جنازة نصراني، فقالا رضي الله عنهما: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسًا فمروا عليه بجنازة، فقام صلى الله عليه وسلم، فقيل: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي، فقال الحبيب النبي: "أليست نفسًا".. وددت أن لو استمعت الدنيا كلها كيف يحترم الإسلام الآخر، فنحن لا نفرض ديننا على أي أحد، بشرط وأقولها واضحة ألا يحول أي أحد بيننا وبين دعوة الآخرين إلى الله بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة والتواضع الجم والكلمة الرقراقة الرقيقة المهذبة المؤدبة..

عاشراً: **حماية المخالف داخل أرضنا، والمحافظة على أموالهم ودمائهم**:

في كتاب (مراتب الإجماع) للإمام ابن حزم نقل ونص على إجماع الأمة على أن حماية أهل الذمة يعني الأقباط يعني النصارى واجبة على المسلمين فليسوا في حاجة إلى استقواء بالخارج الأمريكي أو الخارج الأوربي أو بمجلس الأمن أو بهيئة الأمم، فحمايتهم واجبة علينا نحن المسلمين..

وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم، كما في صحيح سنن أبي داود: "ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"، من يقدر من المحبين لسيد النبيين أن يكون النبي حجيجه يوم القيامة لظلمه رجلاً من أهل الذمة من الأقباط أو من النصارى، ظلمهم عندنا حرام مثل الاعتداء على أموالهم وبيوتهم وأنفسهم حرام، هذا ديننا نعتز ونسعد ونفخر به ونعلنها للدنيا كلها..

ولا نخجل فيه من آية في كتاب ربنا ولا من حديث ثابت صحيح في سنة الحبيب نبينا.. قال صلى الله عليه وسلم، كما في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر: "من قتل معاهدًا لم يرح -يعني لم يشم- رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عام".

شيخ الإسلام ابن تيمية يطبق هذه المعاني تطبيقًا عمليًا حين أُسرَ من أُسِر في حرب التتار مع المسلمين وذهب الإمام حسنة الأيام شيخ الإسلام ابن تيمية ذهب إلى قطب شاه ليفُكَ منه الأسرى؛ فقال له قائد التتار: أسمح لك بأسرى المسلمين ولا أفك أسرى أهل الذمة من اليهود والنصارى. فماذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية؟ قال: أهل ذمتنا قبل أهل ملتنا.

هذا هو الإسلام ولا أريد أن أطيل النفس فتلك عشرة كاملة من الأساليب التي تبين كيف نزع النبي صلى الله عليه وسلم الخوف من قلوب المخالفين.

المبحث الرابع

مدى إمكانية تطبيق هذه الأساليب على الواقع المعاصر

إن قيم الوحي في القرآن والسنة، وتجسيدها العملي، وتنزيلها على واقع الناس بحسب استطاعاتهم وما هم عليه من أقدار التدين هي خالدة، مجردة عن قيود وحدود الزمان والمكان، قادرة على الإنتاج والاستجابة والعطاء في كل زمان ومكان، وهي سفر مفتوح على الزمن وللزمن، للقراءة والنظر والاجتهاد، سفر مفتوح لكل الناس، سواء في ذلك أمة الدعوة أو أمة الإجابة -كما أسلفنا- ذلك أن محاصرة هذه القيم بفترة تاريخية معينة أو بفهم معين أو بعطاء معين يعني -فيما يعني- محاصرة الخلود، والحكم بتاريخية هذه القيم، وأنها إنما جاءت لفترة زمنية انقضى وقتها.. وإغلاق باب النظر والتفكير والاجتهاد ومحاولة الإفادة من هذه القيم والتنزيل على الواقع سدا للذريعة حجة باطلة؛ لأن الذي شرع هذه القيم للزمن أعلم بما يتقلب به الناس من الصلاح والفساد، بل نقول: إن إيقافها وإغلاقها ومحاصرتها بفهم وتاريخ كان الذريعة لامتداد الجهل والفساد، فالعلماء العدول هم الذين يحرسون القيم ويضمنون بالحقيقة سلامة المسيرة.

إن الفهم المعوج أو الفقه الكليل لمبدأ سد الذرائع كلف المسلمين الكثير من الإصابات، وساهم بالكثير من الهزائم والفراغ الفكري والفقهي، الذي امتد فيه (الآخر)، كما أنه عطل التفاعل والانفعال والتفاكر والتثاقف بالقيم، حتى بات مبدأ سد الذرائع، الذي هو استثناء، هو القاعدة التي تعطل النصوص وتحاصر امتداد الشريعة وتحقيق مقاصدها.

فالقيم الخالدة مؤهلة بطبيعتها للعطاء في كل عصر، ولكل مجتهد رؤى جديدة تناسب التعامل مع العصر وتقديم الحلول المطلوبة لإشكالاته والأوعية الصحيحة لحركته، وكلما نظرنا وعدنا إلى القيم من خلال معاناتنا كلما مدتنا برؤية وحل لمعاناتنا، وإلا فما معنى الخلود إذن؟

لذلك نقول: إن حلف الفضول، وصحيفة المقاطعة في شعب أبي طالب، والنزول بجوار المطعم بن عدي، والسماح بالهجرة إلى أرض الصدق والعدل لوجود ملك لا يظلم الناس عنده، وصلح الحديبية، و«وثيقة المدينة»، و«العهدة العمرية» لأهل بيت المقدس، كلها معالم رئيسة لكيفية التعامل والتعاقد والشراكة والتكامل والتعارف والتوافق مع (الآخر)، يستدعي الاجتهاد والنظر والتفكير وإيجاد الصيغ الملائمة لتعامل المسلمين مع (الآخر)، ذلك أن (الآخر) موجود، وأن التنوع بالعقائد والأفكار والألوان والأقوام والأجناس سنن اجتماعية وكونية لا بد من التوافق معها على صيغ وقواسم مشتركة، وأن الاعتراف بوجود (الآخر) كواقع، والتعامل معه، والتوافق معه على صيغ تعاون لا يعني إقراره على ما هو عليه، فله خياره ولا إكراه.

إن هذه الوثائق التي أتينا على ذكرها دليل على الفضاء الواسع للقيم الإسلامية وإنسانيتها، فضاء لا يحده الزمان ولا المكان، وإنما تحدده الرؤية القاصرة والفقه العليل والتعصب الذي يأتي ثمرة للجهل وعدم العلم؛ لأن التعصب يتناسب طردا مع قلة العلم والمعرفة.. إن انفتاح العالم، وحقبة العولمة، ومعاهدات الشراكة على المستويات السياسية والاقتصادية والمعلوماتية، هنا وهناك، تتطلب وجودا أو حضورا، ويشكل فرصا يمكن التقاطها والإفادة منها، إذا كنا بمستوى قيمنا وتراثنا وإسلامنا، وعصرنا، ذلك أن انتشار الإسلام وظهوره امتد تاريخيا في فترات السلم والأمن والحرية أكثر من فترات العنف والمواجهة التي لم تأت بخير، وأن مثل هذه المعاهدات والوثائق النبوية هي الحل الأمثل، بل والوحيد، لمعاناتنا وتفككنا وتآكل مجتمعاتنا وعدم اجتماعها على أمر جامع.

هي العلاج لمعادلة المواطنة الصعبة، العلاج للقوميات والوثنيات والأديان والطائفيات والأجناس، التي تعج بها بلاد المسلمين اليوم حيث تغيب القواسم المشتركة والتوافق على الأمور المشتركة.

الاعتراق بالاخرين:

إن الاعتراف بالآخرين من صلب العقيدة الإسلامية؛ إذ إننا لا نقبل بحال من الأحوال أن نُكره أحدًا على تغيير دينه، وكل ما نرجوه من العالم أن يقرأ عن الإسلام من مصَادره الصحيحة قبل أن يُصدر الأحكام على شرع الله . وفوق كل ما سبق.. فهل وقف تعامل رسول الله مع الآخرين المخالفين له عند حد الاعتراف فقط؟! لقد تجاوز رسول الله هذه المرحلة إلى ما بعدها وما بعدها.. وهو ما استعرضه الدكتور راغب السرجاني في الفصل الثالث من الكتاب، حيث تناول طرفًا -ليس فقط من اعترافه بغير المسلمين- ولكن أيضًا من احترامه لهم وتقديره لمكانتهم

احترام الرسل والزعماء (البروتوكول النبوي):

فهل هناك مثل هذا الرُّقيّ في التعامل؟! وهل هناك من يتّبع هذه القيم في علاقاته مع المخالف له؟! وَإن شئتم المقارنة فعودوا لما فعله الصليبيون عند سقوط الأندلس، وما فعله الرومان عند سقوط أورشليم في أيديهم... وبضدها تتميز الأشياء!!

وفي دراسة حول سيرة النبي ، والمبادئ التي قامت على أساسها الشريعة قام بها الدكتور نظمي لوقا، فكتب هذه الكلمات: "ما أرى شريعة أدعى لِلإنصاف ولا شريعة أنفى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: 8].

فأي إنسانٍ بعد هذا يُكْرِمُ نفسه وهو يدينها بمبدأ دون هذا المبدأ، أو يأخذها بديدن أقل منه تساميًا، وَاستقامة...؟!".

فهذه شهادة باحث نصراني، وما أكثر الشهادات التي على شاكلتها! فهذا أمر لا يُغفل في شريعتنا، ولا في سيرة نبينا ، وهو أمر العدل مع غير المسلمين.

وهذه مجموعة من الأمثلة يأتلق بها المفهوم المراد:

(أ) من الحق أن نقاتل من يقاتلنا، ولكن دون أدنى زيادة عدوان في الرد والردع: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».. فالاعتداء زيادة في حق الرد المشروع، ومن ثم فهي زيادة لا يحبها الله من حيث أنها تجاوز الحد في اتباع الحق في الدفاع عن النفس، وما لا يحبه الله باطل حابط بيقين.

(ب) والدعاء حق، ولكن من الغلو الزيادة العدوانية في الدعاء، سواء كانت زيادة فاجرة ضد خصم ما، أو زيادة في التفاصيل التي تبدو وكأنها تعليم لله لما لا يعلم: تعالى عن ذلك علوا كبيرا: «ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين».

(ج) من الحق أن يوصف المرء بما هو عليه، ولكن كونه على باطل - مثلا - لا يجيز للمسلم أن ينشئ زيادة يضخم بها باطله.

إن القضية كبيرة ومحفوفة بالمخاطر. ويتطلب طرقها وعلاجها مزيدا من العلم.. والنزاهة.. ودقة الحساب.. وصدق الولاء للإسلام.. والحرص البالغ على مصلحة الأمة وسمعتها. فهناك تشويه ذاتي لصورة الإسلام، أي بفعل المسلمين، وعلى أيديهم.. ومتى يقع هذا ويشتد ويتزايد؟.. يقع في ذات الحقبة التي يحدث فيها إقبال عظيم على الإسلام لأسباب كثيرة.

وإذا كنا لا نملك حمل الشانئ على الكف عن التشويه، فإننا ننبه المسلمين إلى أن التشويه الذاتي - بالغلو والعنف - يسهم في الحد من الإقبال على الإسلام.. وهذا - بلا ريب - نوع من الصد عن سبيل الله، وتعاون مع أعداء الإسلام على التخويف من الدين الإسلامي.

هذه الصورة الجميلة للوجود الإسلامي يشوهها الغلو بقلة العلم، وبالغلظة والفظاظة، وبالانحراف عن التوسط والاعتدال. فالغلو - من ثم - منزع مضاد لمقصد بناء سمعة طيبة للوجود الإسلامي على هذا الكوكب.

الخاتمـــــــــــــة

أهم التوصيات:

1. حوار الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة)) (ص: 179).
2. الاهتمام بجمع الشبهات المثارة على الإسلام والتأليف فيها رداً قوياً، وتضمينها المناهج الدراسية ليتشرب الطلاب رفضها والرد عليها.
3. المساهمة في وسائل الإعلام المختلفة للرد على الشبهات المثارة ضد الإسلام، وتخصيص مواقع على شبكة الإنترنت بلغات مختلفة تتحدث إلى المجتمعات كل حسب ما يناسبه، وإنشاء قنوات فضائية متخصصة.

حوار الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة)) (ص: 180)

4. إقامة المؤتمرات والندوات وتشجيع البحث العلمي ومكاتبة المنصفين من أبناء الغرب وإيضاح الحق لهم بكل الوسائل.
5. الاهتمام بالجاليات الإسلامية والمراكز الإسلامية في الغرب، وبناء مشروع حضاري من الأقليات الإسلامية في الغرب (1).
6. التؤدة وعدم العجلة مع الالتفات إلى العلماء والقيادات الإسلامية في دفع الشبهات لأن الانفعال غير المنضبط يؤدي إلى خسائر فادحة ولا يفيد في دفع مخاطر هذا الاعتداء (2).
7. إبراز دور الإسلام في بناء الحضارات مع حاجة الحضارة المعاصرة إليه من خلال تلمس مواضع العطش العالمي، ورغبة الناس في إيجاد مخرج من سعار الحضارة المادية التي أطاحت بالناس وجعلتهم آلة صماء تسعى للمال، وتغفل جوانب الروح عندهم (3).
8. محاولة إسقاط حاجز ((الخوف من الإسلام)) لدى الغربيين بالتعاون مع المنصفين والعقلاء من الغربيين الذين تحرروا من العجب الغربي،

والحقد الصليبي، والكيد الصهيوني، والذين خلعوا المنظار الأسود من فوق أعينهم، ونظروا إلى الإسلام نظرة موضوعية محايدة، فهؤلاء لابد من التعاون معهم لإزاحة الشبهات من طريق الآخرين (4).

9. تبادل الأساتذة والباحثين المنصفين بين الجامعات العربية والأوربية، للاحتكاك المتبادل والتعرف على حقيقة الإسلام ودفع الشبهات عنه.
10. المطالبة بتفعيل المؤتمرات العالمية التي تجرم المساس بالأديان، أو النيل من الأنبياء ودعم المطالبات القانونية لملاحقة المعروفين بمثل هذا التوجه داخل بلادهم.
11. تقوية أدوار وزارات الدعوة والشؤون الإسلامية ومراكز الفتوى وجمعيات العلماء المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه لتقوم بدورها الفاعل والكبير المؤمل منها في الحوار الحضاري.
12. مطالبة الهيئات العالمية وبخاصة الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي والبنك الإسلامي ومنظمة (اليونسكو) وغيرها.